

الباب الثالث

التوبة

- الفصل الأول : لماذا التوبة ؟ وثمرتها ووقتها .
- الفصل الثاني : مراحل التوبة وشروطها .
- الفصل الثالث : برنامج يومي لتجديد التوبة .

obeikandi.com

الفصل الأول لماذا التوبة وثمرتها ووقتها

معنى التوبة :

تاب إلى الله تعالى توباً وتوبة ومتاباً : رجع عن معصيته وندم عليها فهو تائب ، وتاب الله عليه : غفر له وعاد عليه بفضلته .

والتواب اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه أنه هو الذى يوفق عباده إلى أسباب التوبة ويقبلها منهم، ويقال للعبد: تواب ؛ أى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب . يتناول جزء التوبة ثلاث نقاط هى :

لماذا التوبة ؟ ويجاب عليها من خلال آيات وأحاديث عن الرسول ﷺ . وثمرتها ووقتها .

ثم مراحل التوبة وشروطها ، سواء ما إذا اتصل الذنب بعلاقة العبد بربه أو بالناس ، ثم يتم عرض برنامج يومى ، يمكن للأخت المتداومة عليه من سنة الرسول ﷺ فى التوبة سواء من خلال العبادات الوضوء والصلاة والقرآن أو من خلال أعمال اليوم والليلة .

أولاً : لماذا التوبة وثمرتها ؟

- لأن : « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين المستغفرون » أخرجه الترمذى (١) .

- ليكسب العبد حب الله له ، ويكتب له القبول فى الأرض ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢) [البقرة] .

- لأن الله يفرح بتوبة العبد المؤمن .

يقول ﷺ : « لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٩٩) ، وقال : « حديث غريب » ، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٥١) ، وحسنه الألبانى .

فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعدته ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فאלله تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » رواه مسلم (١) .

- لأن الله تعالى يقبل التوبة فهو التواب الرحيم ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ [الشورى : ٢٥] .

- لأن كثرة الذنوب تطمس القلب ، قال تعالى فى سورة المطففين : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤) .

- لأن الله يغار على العبد ، يقول ﷺ : « إن الله تعالى يغار ، وغيره الله أن يأتى المرء ما حرم الله عليه » متفق عليه (٢) .

- لأن الله تعالى غفار ، وكثير الخيرات لمن تاب فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [نوح] ، وفى سورة طه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) ﴾ .

- لأن الله رحيم ودود ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٩٠) [هود] .

- لأن الله واسع المغفرة ، يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم : ٣٢] .

- لأن الخطأ من طبيعة ابن آدم ، يقول ﷺ : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين المستغفرون » أخرجه الترمذى (٣) .

يقول الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾ [الشمس] .

- للخروج من الضيق والهم ، ولتوسعة الرزق ، يقول ﷺ : « من لزم الاستغفار

(١) مسلم فى التوبة (٣/٢٧٤٤) .

(٢) البخارى فى النكاح (٥٢٢٣) ، ومسلم فى التوبة (٣٦/٢٧٦١) .

(٣) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

جعل الله له من كل ضيق ، مخرجاً ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »
رواه أبو داود (١) .

- لأن الله واسع المغفرة :

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذي (٢) .

- لأن الله أقرب للعبد من نفسه ولا يخفى عليه مثقال ذرة يقول الله تعالى في سورة ق : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (١٦) .

- لأن الله تعالى أسرع وأقرب للعبد من العبد إليه ، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

« إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة » رواه البخاري (٣) .

- للوقاية من عذاب الله قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٢)
[الأنفال]

- لأن الله تعالى هو الذي يغفر الذنوب وحده ، يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعيم أجر العاملين ﴿ (١٣٦) [آل عمران] .

- لسوء تقدير الإنسان للذنوب ، قال تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٥)
[النور]

- لسرعة الحساب والعقاب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٧)
[الأعراف]

(١) أبو داود في الصلاة (١٥١٨) ، وأحمد (٢٤٨/١) ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٣٤) : « إسناده صحيح » .

(٢) الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠) وقال : « حديث غريب » .

(٣) البخاري في التوحيد (٧٥٣٦ ، ٧٥٣٧) .

- لأن الله يغفر الذنوب جميعاً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر] .

- لأن رحمة الله تغلب غضبه عن أبي هريرة قال ﷺ : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » متفق عليه (١) .

- لأن رحمة الله واسعة يقول ﷺ : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته » رواه مسلم من أبي هريرة (٢) .

- ولماذا للنساء خاصة ؟

لأن النساء يكثرن اللعن ويكفرن العشير أو ينكرن خير الزوج يقول ﷺ : « يا معشر النساء تصدقن ، وأكثرن من الاستغفار فإنني رأيتكن أكثر أهل النار » . قالت امرأة منهن : ما لنا أكثر أهل النار ؟ قال : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » رواه مسلم من حديث ابن عمر (٣) .

ثانياً : وقت التوبة :

فور معرفة الذنب تجب التوبة في أقرب وقت عرف فيه المؤمن أنه قد وقع في الذنب ، وفي هذه الحالة عليه التوبة وعلى الله المغفرة قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴿ [المنافقون] ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال] .

ولماذا ينتظر المؤمن اليوم الثاني ليتوب . وقد قال ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسئء الليل إلى النهار ، ولمسئء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم (٤) . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُوراً ﴾ (٢٥) ﴿ [الإسراء] .

وقال ﷺ : « أتبع السيئة الحسنة تمحها .. » الترمذى (٥) .

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٠٤) ، ومسلم فى التوبة (٢٧٥١ / ١٤) .

(٢) مسلم فى التوبة (٢٧٥٥ / ٢٣) .

(٣) مسلم فى الإيمان (١٣٢ / ٧٩) .

(٤) مسلم فى التوبة (٢٧٥٩ / ٣١) .

(٥) الترمذى فى البر والصلة (١٩٨٧) وقال : « حسن صحيح » .

والمسارعة إلى التوبة والمغفرة فهما طريقان إلى الجنة قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران] .

عن أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » رواه الترمذى (١) . وقال : « حسن » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » رواه مسلم (٢) .

الاستغفار طوال اليوم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخارى (٣) .

وفى الأيام التى تفتح فيها أبواب الجنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ! أنظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم (٤) .

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٥٣٧) وقال : « حسن غريب » .

(٢) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٣ / ٢٧٠٣) .

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٧) .

(٤) مسلم فى البر والصلة والآداب (٣٥ / ٢٥٦٥) .